كلمة الحياة

تمّوز/ يوليو 2022

"إنَّ الحاجَةَ إلى أَمرٍ واحِد" (لوقا 10، 42)

يسوع في طريقه إلى أورشليم حيث سيتمّم رسالته، وها هو يتوقّف في قرية، في منزل مرتا ومريم. يصف الإنجيليّ لوقا استقبال الأختين ليسوع بهذه الطريقة: كانَت مَرتا، بصفتها ربّة المنزل، "مَشغولَةً بِأُمورٍ كَثيرَةٍ مِنَ الخِدمَة"، أمورٍ مرتبطة بواجب الضيافة، فيما مريم "جَلَسَت عِندَ قَدَمَي الرَّبِّ تَستَمِعُ إلى كَلامِه". مقابل انتباه مريم نجد اضطرابَ مرتا، وبالفعل، على تذمّرها إذ تركتها مريم تخدم لوحدها، يجيب يسوع: "مَرتا، مَرتا، إِنَّكِ في هَمٍّ وارتِباكٍ بِأُمورٍ كَثيرَة، مع أَنَّ الحاجَةَ إلى أَمرٍ واحِد. فَقَدِ اختارَت مَريمُ النَّصيبَ الأَفضَل، ولَن يُنزَعَ مِنها". يقع هذا المقطع بين مَثَل السامريّ الصالح، وهي ربّما الصفحة الأعلى شأنًا بالنسبة إلى محبّة القريب، والصفحة التي يعلّم فيها يسوع تلاميذَه كيف يصلّون، وهي بالتأكيد الأعلى شأنًا بالنسبة إلى العلاقة مع الله الآب. وبهذا، فإنّ هذا المقطع يشكّل توازنًا بين حبّ الأخ وحبّ الله.

"إنَّ الحاجَةَ إلى أَمرٍ واحِد"

بَطَلَتَا هذا المقطع هما امرأتان. والحوار الذي يدور بين يسوع ومرتا يصف علاقة الصداقة التي تربطهما والتي تسمح لمرتا بأن تشتكي لدى المعلّم. ولكن ما هي الخدمة التي يريدها يسوع؟ ما يهمّه هو ألّا تنهمك مرتا وترتبك، وأن تخرج من الدور التقليديّ المعطى للنساء، فتجلس هي أيضًا وتصغي إلى كلمته، مثل مريم التي تتبنّى دورًا جديدًا كتلميذة ليسوع. غالبًا ما تُقتصر رسالة هذا النص على التناقض ما بين الحياة النشطة والحياة التأمليّة، كأنّهما نهجان دينيّان بديلان. ولكنْ مرتا ومريم كلتاهما تحبّان يسوع وتريدان أن تخدماه. وبالفعل، ليس هناك في الإنجيل ما يقول إنّ الصلاة والإصغاء إلى الكلمة هما أكثر أهمّيّةً من المحبّة، بل المطلوب إيجاد الطريقة لربط هذين الحبّين برباط لا ينحلّ. حبّان اثنان: حبّ الله وحبّ القريب، ليسا متعارضَين بل متكاملَين لأنّ الحبَّ واحد .

"إنَّ الحاجَةَ إلى أَمرٍ واحِد"

ما يتبقّى علينا أن نفهمَه هو" الأمر الواحد "الضروريّ. تساعدنا على ذلك بدايةُ الجملة: "مارتا، مارتا ."... فبتكرار الاسم الذي قد يبدو أنّه يحضِّر لتوبيخ، نجد في الواقع نداءً هو دعوة. يتهيّأ لنا إذًا أنّ يسوع يدعو مرتا إلى نهج جديد في العلاقة معه، إلى إنشاء رابط لا تكون فيه في موضع الخادم بل الصديق الذي يدخل في علاقة عميقة مع يسوع. كتبَت كيارا لوبيك: "لقد استفاد يسوع من هذه المناسبة ليشرح ما يعتبره أكثر ضرورة في حياة الإنسان، [...] الإصغاء إلى كلمة يسوع. والنسبة إلى لوقا، كاتب هذا المقطع، إنّ الإصغاء إلى الكلمة يعني أيضًا أن نعيشَها [...]. وهذا ما عليك أنت أيضًا أن تفعله: أن تتقبّل كلمة الله وتسمح لها أن تحدُث فيك تحوّلاً. ليس هذا فحسب، بل أن تظلّ مخلِصًا لها، وأن تحفظها في قلبك، فتصوغ هي حياتَك، مثلما تحتضن الأرض البزرة التي سوف تنمو وتعطي ثمارًا.عليك إذًا أن تحمل ثمار حياة جديدة، ثمار الكلمة[1]".

"إنَّ الحاجَةَ إلى أَمرٍ واحِد"

مَن يعرف كم لدينا من الفُرص كي نستقبل المعلِّم في حميميّة بيتنا، تمامًا كما مرتا ومريم، وأن نجلس عند قدميه لنصغي إليه كتلاميذ حقيقيّين. غالبًا ما تُدخِلُنا الهموم والأمراض والالتزامات، وكذلك الأفراح والأمور التي ترضينا، في دوّامة الأشياء التي علينا القيام بها، ولا تَترك لنا الوقت كي نتوقّف ونتعرّف إلى الربّ ونصغي إليه.

هذه الكلمة تشكّل لنا مناسبة ثمينة لنتدرّب على اختيار النصيب الأفضل، أي أن نُصغي إلى كلمته، فنكتسبَ الحرّيّة الداخليّة التي تمكّننا من العمل بموجب هذه الكلمة في حياتنا اليوميّة. سوف يكون هذا العمل ثمرة علاقة حبّ وسيعطي معنًى لخدمتنا وإصغائنا.

ليتيتسيا ماغري *Letizia Magri*

[1] كيارا لوبيك، كلمة حياة شهر تمّوز /يوليو .1980